الفصل الرابع

الحركة المَوْضعيَّة

لا شك في أن صياغة التراكيب الإبداعية إنما تمثل في حقيقتها قدرة الفنان على تشكيل اللغة جماليا بأن يخترق إطار المألوفات أحيانًا أو يصنع منها شيئًا شبيهاً بغير المألوف ، وهو في ذلك يتعامل مع مواد أولية ذات خواص معجمية قابلة لأن تزرع في السياق كما هي ، كما هي قابلة لأن تزرع فيه بشكل متطوّر ، ولكنها في كلتا الحالتين تقدم النموذج الأسلوبيَّ المميَّز بالنية الجمالية . وإذا كان التحرك الأفقي والرأسي قد ساعدا – بلا شك – على تأكيد هذه النية ، فإن تركيز الحركة في نقطه محددة ، أو لِنَقل تبادل الخواص الدلالية فيما بينها في نقطة محددة يمكن أن يضيف عمقًا إلى الدلالة ، ويساعد على تكثيف النية الجمالية المستترة وراءها .

ويمكن أن نستكشف ملامح هذه الحركة الموضعية في بعض المباحث التي أدارها القدماء نظريا وتطبيقيا فيما أطلقوا عليه (علم المعاني) الذي رصدنا بعض مباحثه في الحركتين السابقتين .

وطبيعة (الحضور والغياب) لبعض عناصر التراكيب تمثِّل لونًا تعبيريا بارزًا أفاد منه القدماءُ في تحليل كثير من النماذج الأدبية لاستخلاص ما فيها من ألوان الجمال ، أو لرصد ما فيها من ظواهر القبح ، وبمعنى آخر كانت هذه الخاصية من أهم مظاهر تقييم العمل الأدبي ، وتبدو مقدرة القدماء في إدراكهم أن بعض العناصر اللُّغوية يبرز دورها الأسلوبيُّ بغيابها أكثر من